

لأساس: الكتاب الأول: الافتراضات الأساسية (143)

الإدراك (104)

الإدراك والحلم والإبداع (5 من ؟)

Information Processing

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD060113.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2013/01/06
السنة السادسة - العدد: 1955



مقدمة:

جاء في النشرة السابقة في هذا الملف ما يلي:

"فلتسبحوا لي أن نؤجل الحديث عن علاقة الموت بالإدراك الآن، فهو الموضوع الأصعب والأخطر والأكثر تحدياً، وأكرر مرة أخرى بفرحة لا يعتاب، أن الذي جرننا إلى هذا الحديث هو أ.د. السامرائي.."

وإذا برسالة رقيقة يرسلها أ.د. السامرائي عبر "شعن" إلى الزملاء في الشبكة الرائعة، يطلعنا فيها عن خبرته من زيارة إلى داخل أهرام الجيزة منذ سنتين، وهو يحكى فيها بأسلوبه الجميل وصدقته الخاص عن المعنى والدلالة وعلاقة هذه الخبرة بالموت والأكوان

العليا والتحرر من جذب الأرض، حتى وصل به الحماس إلى فكرة عصفت بخياله يصفها بنص كلامه قائلاً: "...بيدو إن للهرم قدرات علاجية، وبيدو وكأنه اكتشاف علاجي فيزيائي للعديد من الأمراض ومنها النفسية والعقلية، وفقاً لإمكانيات ذلك العصر،.. إلى أن قال: "وعلى أكثر الظن أن الكاتب الطبيب إمحودب قد أراد به التطبيب والتعبير الفلسفي عن أفكاره ومداركه".

ثم يتحفظ قائلاً: "... ولا أدري إن كانت الأهرامات ذات مساهمات علاجية في المجتمع المصري آنذاك؟ " وهو يربط ذلك بمشاعره الشاعرة التي انتابته أثناء الزيارة.

ولى تحفظات فقط على التعميم، لكن ليس عندي أدنى شك في خبرته الرائعة وصدقها وشاعريتها، بل إنني غبطته بشكل ما عليها، فهي تكاد تكون عكس خبرتي من الزيارة الوحيدة التي قمت بها إلى داخل الهرم منذ أكثر من ستين عام!!

لكن الذي لفت نظري بالنسبة لموضوعنا الحالي هو تلك الفقرات التي أورد فيها لفظ **الإدراك** تحديداً وهي كالتالي:

" إن التواجد داخل الهرم،

الأعماق ويقدح مشاعل الرؤية **والإدراك** داخل ظلمات الجمجمة فتري ما لم تكن تترى، **وقد تترك الإدراك!** وبين هو الذي رأى وبين الذي يريد أن يرى، مسافة يختصرها الهرم المصري،

عن مستويات إدراكية لا تعرفها الأجيال المعاصرة.

فقد خلق الذي ابتدع الأهرامات في **فضاءات الإدراك الساطع الفياض**، وركب براق التجلي وأنوار اليقين فطاف الأكوان في لمحصر.

ثم: يختم خبرته الجميلة بأن يفتح علينا الباب من جديد قائلاً:

ويبقى السؤال، ونحن نتناول موضوع الإدراك، يتصل **بمناهج وآليات وتطبيقات الإدراك**، التي يبدو بأن الذي أبدع الأهرامات كانبثقتها،

وهو الذي يرى ما لا ترى عبر الأجيال!!

بصراحة قررت أن أحذر أن أنساق وراء هذه الدعوة الجديدة الشديدة الإغراء حتى لا تسحبنا بعيداً عن مسارنا، ونحن ما كنا نجنب موضوع الموت مرحلياً، وخاصة وأنا لا أفخر بأجدادي هؤلاء حتى حسدت هذا الصديق الشاعر الجميل الذي استلهم كل ذلك من خبرة لم أخرج أنا شخصياً منها بفاكار رائعة مثل أفكاره، ولا عشت مشاعر رانقة مثل التي عاشها، فمع انبهارى بالعظمة والدقة والعلم الذي أنجز هذا الإعجاز الهندسي الراسخ، كانت تراحمني - بمجرد ذكر الأهرامات - مشاعر رافضة للسخرى والتقديس والسيطرة، فكنت وأنا

داخل الهرم (مرة واحدة حين كنت طالبا كما ذكرت) أشعر بأن أحجاره تنقل ظهري مثلما كانت تنقل ظهور أجدادي الذين عاشوا السخرة من أول بناء الهرم حتى حفر قناة السويس ثم يا ترى ماذا ينتظرهم الآن!!

شكرا يا عم صادق، وعذرا، وبعد إنك سوف أوصل العودة إلى مناقشة علاقة الإدراك بالموت الآن، حتى أنتهى من علاقته بالحلم والجنون والإبداع، ثم نعود أو لا نعود حسب ما إذا كنا قد استطعنا أن نمتلك **"مناهج وآليات وتطبيقات الإدراك"** كما امتلكها أجداننا، وإن كنت أرجح أن أجدادي شخصيا كانوا ينتمون إلى من امتلكوا سواعد وظهور رفعت كل هذه الأحجار، وهم يتواصلون مع الكون الأعظم بآليات أبسط وأرحب وأكثر اختراقا، وهم يفترضون العراء غالبا بجوار هذه الحجارة العملاقة التي تخيفنى شخصيا حتى وهى مرصوفة هذه الرصة التي لم تقنعنى أبدا بعظمة الموت، ولا حتى بعظمة العلم الذى رصتها، فقد كنت دائما أتصور أن العمال الذين ماتوا أثناء العمل كان مقعدهم عند ربهم أقرب وأطيب، والله أعلم.

شكرا يا عم صادق، وعذرا، وبعد إنك ننتقل إلى علاقة الإدراك بالجنون أولا.

الجنون والحلم:

سوف أتجنب فى هذه المرحلة تفصيلات المقارنة وسأكتفى الآن بالإشارة إلى بعض أوجه الشبه والاختلاف بين الحلم والجنون، مما قد يفيدنا فى المقارنة الأساسية اللاحقة بين الحلم والإبداع.

الجنون الذى سأتناوله هنا ([1]) هو الجنون بمعنى التناثر، والاعتراب، واللغة الخاصة، وضرب الزمن، وهو أقرب ما يكون إلى المستوى الأعمق من الحلم المقابل لنشاط الحلم البدئى الأولى أثناء نوبة النوم النقيضى (نوم الريم)، (= الحلم الفعل/الحلم الحركة/ الحلم بالقوة = الحلم الخام). فى حالة الجنون يحدث مثل هذا التنشيط الذى يحدث فى الحلم، لكنه يحدث أثناء اليقظة، فتقتحم المادة المنشطة عشوائيا وعى اليقظة، ملتحفة بوعيتها الخاص، ليتداخل المستويان فى بعضهما فيحدث التشوش والخلط، فضلا عن أن الظاهرة الإيقاعية فى الجنون عامة عادة ما تتجلى فى بعد زمنى أطول يقدر بالشهور وأحيانا بالسنين، وهو ما يشار إليه باسم الجنون الدورى Periodical وأيضا المتقطع Intermittent (وهذا هو الأساس لكل الأنواع الأخرى من الجنون من منظور معين) ([2]).

إن أهم ما يعيننا هنا هو أن وجه الشبه بين الحلم والجنون يزداد كلما اقتربنا من بداية العمليتين: بداية الحلم، وبداية الجنون؛ أو بتعبير أدق، كلما اقتربنا من عمق المستوى الأول لنشاط كل منهما، ثم يظهر الاختلاف مع تقدمنا إلى المستويات التالية. على أن غلبة "السلبية" (غاية وناتجا) فى حالة الجنون، وغلبة "الإيجابية" فى حالة الحلم، لا تعنى بالضرورة أن الجنون كله تناثر وهزيمة وانسحاب، أو أن الحلم كله إبداع وولاف ونمو؛ فقد يتعدل المسار فى الأول، فى أية لحظة، تلقائيا، أو بتدخل علاجى تكاملى خلاق، كما أنه من الوارد ألا يقوم الحلم بوظيفته التنظيمية فيصبح نشاطا دائريا مغلقا يفرغ الطاقة لمجرد أن يحافظ على توازن متجمد فى محله، دون نمو أو تدعيم للمعرفة.

الإبداع، يشترك أيضا مع كل من الحلم والجنون فى البدايات (المراحل الأولى)، ولكن مساره ونتاجه يختلفان، مع اختلافات نوع الوعى وتكامل مستوياته، واتساع المسؤولية، واتجاه الغائية، وفعل الإرادة، وأخيرا الطبيعة الولاوية للنتائج وآثاره

الخلاصة المرحلية:

نوجز - فى خطوط عامة - ما قدمناه، حتى الآن، بما يسمح بالمقارنة حين ننتقل إلى الجزء التالى:

1- إن المخ البشرى، والجسد البشرى، والوجود البشرى، من أبسط مستوى داخل خلوى (بما يشمل تمثيل البروتينات)، فى حالة إيقاع حيوى نوبى بما يحقق تنظيم تركيبه، والحفاظ على دفع النمو. وما الحلم والجنون والإبداع إلا بعض مظاهر هذه النوايبية الحتمية سلبا (الجنون) وإيجابا (الحلم -غالبا- والإبداع -دائما).

2- إن ما يحكى عن محتوى الحلم ليس هو النشاط الحالم، بل هو جزء يسير جدا من نهاية عملية يكاد لا يمكن رصد تفاصيلها السابقة بما يربطها بعضها ببعض، وإن أمكن رصد والتقاط بعض علامات ما تدل عليه.

3- إن الحلم ليس ظاهرة تفرغية بديلة تحدث أثناء النوم، بل هو تنشيط بيولوجى معرفى منتظم يمثل جرعة معرفة مكثفة تلقائية بعيدة - فى ذاتها - عن المتناول فى ذاتها، وإن كان يمكن رصد نتائجها الإيجابية.

4- إن ما يسمى حلما إنما يتم - بشكل عام - على مرحلتين أساسيتين (درجتين من درجات الوعى) : مرحلة التقاطه - تذكره - (وفى الواقع أنها - جزئيا- عملية تخلقى فى الذاكرة الأعمق = الحلم الفعل/الحلم الفج)، ثم مرحلة روايته أو تسجيله، أى مرحلة إعادة تخليقه ومراجعتة (الحلم المحكى/ بالتأليف أو بالترفيف، حسب درجة ونوع علاقته بالحلم الفعل).

- 5- إن المعطيات الحديثة، من معامل الأحلام، لا تولى اهتماما خاصا لما يسمى "سبب الحلم" أو "دافع الحلم"، بمعنى تحقيق رغبة، أو تعويض نقص، إذ أنها تؤكد على الفهم الأعمق للطبيعة التلقائية الإيقاعية للنشاط الحالم أساسا.
- 6- إن لغة الحلم، ليست كلاما ناتجا عن بنية لغوية راسخة، ولا هي لغة مصورة لا بد من إعادتها إلى مفاهيمها اللفظية أو الرمزية ليتمكن شرحها وتفسيرها، ولا هي نتاج العمليات الأولية البدائية تماما، لكنها لغة حيوية جديدة، متجددة، يختلط فيها العيانى بالمجرد، وتتكثف فيها المفردات المتنوعة، فتقوم صياغة الحلم الإبداعية بترتيبها بالقدر الممكن لروايتها. وهكذا تختلف جرعة الأصالة والإبداع فى رواية الحلم بقدر قدرة الحالم الراوى على تحمل الغموض واحتواء التناقض واستيعاب المعلومات المحركة فى كل اتجاه، وأيضا بقدر تماسك توجهه، وعمق حرية حركية إبداعه
- 7- إن نشاط "الحلم بالقوة/ الحلم الخام" يقوم بوظيفة تعليمية معرفية تنظيمية، كما أن نشاط الحلم المروى هو نوع الإبداع التلقائى بدرجة تشكيل أقل عمقا، وهو ما يجرى فى مستوى الحلم بالتأليف، كما يمكن أن يكون إحلالا بالخيال المفاهيمى، فيكون أقرب إلى ما يسمى "أحلام اليقظة".

- 8- إن علاقة الحلم بالجنون بالإبداع هي علاقة مركبة؛ حيث يجمع بينهم منبع واحد، ثم تفرقهم ظروف تتناسب جرة التنشيط مع فعل الإبداع القادر على لمّ وتوليف وتكامل هذا الفيضان الدورى المناسب (الحلم) أو المفرط العشوائى (الجنون النشط).
- 9- إن ظاهرة "الحلم" (بغض النظر عن حكي محتواه) تمثل حتم الإيقاع الحيوى، ونوايبه التنشيط، ونظم إطلاق الطاقة، ونشاط حركية التناقض، التى نتاجها هو ما نسميه "إبداع الشخص العادى"، بمعنى "تغييره المستمر المتركم الموزع على مدار الإيقاع الحيوى على مدى حياته". (فى حالة الصحة الإيجابية أكثر منه فى حالة العادية أو فرط العادية)، وهذا هو ما أسميته فى الأطروحة الأصل: الإبداع اليوماوى [3]. لكل الناس، باعتبار أن الإيقاع الحيوى إذ يتجلى فى الحلم خاصة كل ليلة، إنما يحافظ على إعادة التشكيل البيولوجى، على مستوى غير ملموس عادة، وأيضا بعيدا عن الوعى الذاتى الظاهر فى أغلب الأحوال، وكما أن استقبلنا لذلك والحيلولة دون إجهاضه بعلم سطحي أو تفسير متعجل هو إسهام فى دعم آلية طبيعية على مسار التطور.

وبعد

فى الندوة الشهرية التى تعقدتها جمعية الطب النفسى التطورى فى دار المقطم للصحة النفسية قدمت موجزا عن علاقة الإدراك بالأحلام بالوجدان، وإذا بى أنتبه أن ما اطلعت عليه لإعداد هذه الندوة من تفاصيل عملية معالجة المعلومات، التى قدمناها من منظور إكلينيكى ونحن نقرأ حالة فصام ذات دراية فائقة (نشرة 13-5-2009: فصامى بعلما: "برامج الدماغ وزحام المعلومات؟")، (نشرة 2-6-2009 "كيف" الفصام، "دون أن يفصم!! بعض معالم للمناقشة")، أجد فى تلك الأبحاث احتراما شديدا لوحداث الزمن بالغة الصغر، وهو الأمر الذى شغلنى وأنا أتساءل عن مشروعية الفروض التى أقدمها، كما تعلمت مما أطلعت لتحضير هذه الندوة معلومات تفصيلية غاية فى الأهمية طمأننتنى إلى أن ما يصلنا فى الممارسة الإكلينيكية يمكن أن نجد له يوما ما يساعد فى تدعيمه مع تطور قدرات الرصد والقياس، وحتى إن لم ألحق هذه الآلات والمناهج فى حياتى، فأنا واثق من قدرة إنسان العصر على امتلاكها إذا انتصر على غول التكاثر وعمى التسلسل، ذلك أن أملى فى المستقبل لا يرتبط بوجودى، بقدر ما يرتبط بفروضى، والله سبحانه وتعالى المستعان.

[1] - يستعمل لفظ "الجنون" عند معظم الذين يكتبون فى النقد أو الإبداع استعمالا فضفاضا لا يجوز، وخاصة بعد تعدد تصنيفات الذهان (الجنون Psychosis) إلى عشرات الأنواع، لذلك أحدد من ناحيتى أن الجنون العضوى التشريحي المباشر مستبعد فى هذه الدراسة (مثل الخرف أو الجنون الناتج عن أورام فى الدماغ..إلخ). إن ما أعتبره الجنون الأم أو الجنون الأصل (إن صح هذا التعبير) الذى يرد فى هذا الفصل، وفى كل الفصول هو الفصام بكل مراحلها، وبالذات فى شكله النفسى Disorganized وأحيانا التدهورى Deteriorated مضافا إليه - أحيانا- بعض أنواع الجنون الأخرى التى ليست سوى محاولة بديلة للحيلولة دون التمدادى فى التفسخ والتدهور بأشكال أقل إمراضية (وإن كانت أخطر أحيانا) من العملية الفصامية (دراسة فى علم السيكوباتولوجى) وتحديد الجنون فى هذا السياق الحالى بأنه "الجنون النشط" يشير إلى نوع الجنون ذى الأعراض الإيجابية مثل: الهالوس والضلالات والتفسخ النشط، والهيلاج،

في مقابل الجنون المندمل أو السلبي الذي هو أقرب إلى الانسحاب والهمود والتبلد والتخثر، أو لتقريب الأمر للقارئ: فإن الجنون النشط هو أقرب إلى مرحلة إضرار الحريق، أما الجنون المندمل فهو أقرب إلى الرماد المتخلف بعد الحريق ، كما أن العملية الذاهانية المؤدية إلى التفسخ الفصامي هي المراد بها الجنون أساسا، وهي العملية التي تصل في نهايتها الأخطر إلى نوع من التدهور السلبي الذهاني أيضا، لكنه أبعد ما يكون عما يراد به حين نستعمل لفظ الجنون في هذه الدراسة بوجه خاص.

[2]- المعنى المقصود هنا هو التأكيد على أن الاضطرابات العقلية (فيما عدا ما استبعدناه سافا من أمراض عضوية تشريحية) يمكن أن ترجع إلى خلل في الإيقاع الحيوي هو ما نحتنا له مصطلح "سيكوباتوجيني" Psychopathogeny ، وبالتالي: فالمتوقع أن تظهر في شكل دوري، وهذا ما كان شائعا عبر التاريخ، وهو وارد حالا بصورة أقل وخاصة فيما يسمى الجنون الدوري، وتعتبر سائر أنواع الجنون، من هذا المنطلق، بمثابة إيقاع حيوي فاشل أو منحرف أو مشوه يعلن عجز الإيقاع الحيوي العادي والإبداعى أن يستوعب حركية دورية الوجود البيولوجية، ويمكن أن يرجع في تفاصيل ذلك إلى "دراسة في علم السيكوباتولوجي". هامش link. المنظور يفترض امتداد القانون الحيوي Biogenic law هكذا: الميكروجينيا (لحظة إبداع الفكر) تعيد الماكروجينيا (أزمة النمو) التي تعيد الفيلوجينيا (نمو الفرد برمته) التي بدورها تعيد الفيلوجينيا. أما أن يكون مسار المرض متفتررا remittent فهو يشير أيضا إلى نوابية المرض، غير أن مآل كل نوبة يكون سلبيا، بمعنى أنه يترك اندمالا (خفوتا، ورمادية، وانسحابا) في الشخصية بصفة متكررة مع تكرار النوبات.

Circadian - [3]

*** **

للتسجيل في وحدة الدراسة و البحث في الإنسان و التطور

ارسل طلبك الى بريد الشبكة

arabpsynet@gmail.com

مصحوبا بالسيرة العلمية

<http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm>

كامل نشراته " الإنسان و التطور " (اليومية) على الويب

<http://www.rakhawy.org>

www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm

*** **

ربيع - صيف 2012

" الفصام ... قراءة من منظور تطوري "

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.exe

*** **

اصار شتاء 2012

عندما يتحرك الإنسان

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.exe